الأناجيل والقرآن الكريم

دراسة مقارنة

د. عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز
أستاذ بقسم العقيدة والفلسفة

الأناجيل والقرآن الكريم

«دراسة مقارنة»

أ . د

عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز

الأستاذ بقسم العقيدة والفلسفة

مقـــدمة :

إن مدخل الدارس المسلم لعلم مقارنة الأديان (Comparatve Religion) يختلف إختلافا تاما عن مدخل الدارس النصرانى . إذ أن النصرانى قد تربى على الاعتقاد بأن ما تلقاه عن طريق الكنيسة هو وحده الذى يمثل الوحى الإلهى الحقيقى والكامل ، مع اليهودية كمقدمة للنصرانية ، وأن الأديان الأخرى هى فى أحسن الأحوال تخمينات وظنون بشرية، جانبها الصواب فى بحثها عن الحقيقة .

ويتمسك النصرانى بوجهة النظر القائلة : إن الله تعالى أختار بنى إسرائيل من بين جميع السلالات والشعوب البشرية لإنزال دينه وإرسال أنبيائه ، ومن ثم فإن النصرانى يعتقد ويؤمن بالأنبياء والمعلمين الدينيين لبنى إسرائيل

وحدهم ، وينظر إلى جميع المدعين الآخرين للنبوة ، إما على أنهم ضالون أو دجالون نصابون .

والمطلب المحبوب والمفضل عند المبشرين النصارى كان دائما أن يتصيدوا الأخطاء فى أشخاص أصحاب الرسالات الأخرى ، حتى يمكنهم أن يدعموا الدعوى الفريدة والنهائية بالنبوة للمسيح عليه السلام . وما على أى باحث إلا أن يقرأ كتبهم عن النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ، حتى يجد كيف ان تصوراتهم الدينية المسبقة وتحاملاتهم على الإسلام ونبيه ، قد جعلتهم غير قادرين على رؤية الحقيقة عند الآخرين . إن هؤلاء المبشرين (وقد تابعهم معظم المستشرقين) لم يترددوا فى ترجمة القرآن الكريم ترجمة خاطئة . كما عمدوا إلى نشر الأكاذيب حول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خدمة لأغراضهم فى تشويه الإسلام . والأمر الغريب حقا هو أنهم وجدوا أى شىء فى الدين الإسلامى مشابها لشىء فى دينهم ، فبدلا من أن يشعروا بالسعادة - إذ أن الحقيقة يصدق بعضها بعضا - فإنهم يشعرون بالإحباط ، ويسارعون بإرجاع ذلك إلى تأثير نصرانى . وهذه روح شريرة تجافى الحقيقة ، وتقف متصادمة مع المنهج العلمى السليم فى التطلع إلى معرفة الحق وحب الوصول إليه . أنها روح الخضوع والخنوع والاتباع لموروثات الآباء والأجداد ، دون بحث ودراسة تطبيقا لذلك القول « وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون » (البقرة ١٧٠) . وهذا بلاشك منهج التعصب الأعمى ، الذى يجعل الباحث يصم أذنيه ويغمض عينيه ، ويضع غشاوة على قلبه حتى لايصل إلى الحقيقة الناصعة فى وضوحها .

وعلى الجانب الآخر فإننا نجد أن المسلم يؤمن بالأصل الإلهى لجميع الأديان السماوية الموجودة فى العالم . فإن القرآن الكريم — وهو كتاب

الإسلام — يعلن بكل وضوح وصراحة أن الله تعالى قد أقام فى كل أمة أنبياء ورسلا ، ليرشدوا الناس إلى معرفة الحق وسلوك طريق التقوى . والمسلم يعلم ويؤمن بأن الله تعالى هو رب العالمين ، وأنه هو الخالق المحب والمعين لجميع البشر ، ومن ثم فإنه لا يمكن أن يكون متحيزا ، بحيث يختار شعبا واحدا ، ويحرم الشعوب الأخرى من رحمته وإنزال رسالاته . إن المسلم يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله الذين ثبت صدقهم بالأدلة اليقينية . والمسلم يشعر بالأسى العميق حين يرى أن اليهود والنصارى قد غيروا وبدلوا فى التعاليم الحقيقية لموسى وعيسى عليهما السلام . ومع وجود هذه التبديلات والتحريفات فإن المسلم لا يستطيع — مطلقا — أن يتحدث عن هذين النبيين الكريمين — عليهما السلام — بأى شىء يشينهما ، وذلك لأن القرآن الكريم قد وجه المسلم إلى أن يؤمن بهما نبيين كريمين من أنبياء الله تعالى ، ويشعر المسلم تجاههما بالحب والاحترام مثل شعوره تجاه محمد صلى الله عليه وسلم .

وبإحساس من الحب العميق الواعى والاحترام والتقدير لكل من عيسى ومحمد — صلوات الله وسلامه عليهما — وكذلك بتقدير كبير للديانتين المنزلتين على هذين الرسولين الكريمين ، فقد آليت على نفسى أن أقدم هذه الدراسة المقارنة بين الأناجيل والقرآن ، حتى يمكننا أن نعرف أين توجد — الآن — كلمة الله الحقيقية .

وإن الدارس للأديان سواء أكانت سماوية منزلة من الله تعالى ، أو كانت من وضع أفراد من البشر امتازوا بالذكاء الحاد والمعرفة الواسعة بالثقافات المحيطة بهم ، إن هذا الباحث ليجد اهتماما كبيرا من الباحثين الذين يقارنون بين الأديان المختلفة ، وذلك عن طريق دراسة النصوص الدينية لمعرفة الصحيح الموثق ، من الزائف الدخيل عليها . ونحن نعرف أن النصرانية والإسلام « كدينين قائمين فى الواقع الذى نعيشه » يدعى كل منهما أنه دين منزل من الله تعالى . ففى إنجيل يوحنا نجد أن المسيح عليه السلام قد أعلن

أن الرسالة التى أمر بإبلاغها إلى الناس لم تكن من عنده ، وإنما من الله تعالى « لأنى لم أتكلم من نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصيته ماذا أقول وبماذا أتكلم . وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية ، فما أتكلم أنا به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم » . العهد الجديد - إنجيل يوحنا الإصحاح الثانى عشر ٤٩ - ٥٠ » . كما نجد فى إنجيل يوحنا أيضا أن المسيح عليه السلام قد وصف نفسه فقال : « وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » « إنجيل يوحنا - الإصحاح الثامن . ٤٠ » .

وفيما يتعلق بالإسلام فإننا نجد أن التنزيل الذى تلقاه محمد صلى الله عليه وسلم إنما كان من الله تعالى رب العالمين ، قال تعالى : « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، (الشعراء ١٩٢ - ١٩٤) وقال تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (الفرقان ١) وقال تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » (البقرة ٢٣) .

والباحث المنصف الذى يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة يرى أن الصدق فى كلا الدينين يعتمد على الدقة والضبط اللذين سجلت بهما الكلمات الإلهامية المنزلة على عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، كما يعتمد على النقاء الحرفى لكتابيهما ، على أساس أن كل مافيهما إنما هو من وحى الله تعالى : والباحث المنصف يرى أنه إذا كانت الرسالة المنزلة من الله تعالى على نبى لم تصل إلينا تامة وبالضبط كما أنزلت على ذلك النبى ، وإنما وصلت إلينا ناقصة أو فيها أخطاء وتحريفات ، فإنه - أى الباحث المنصف - يرى أنه لابد من التسليم بأن هذا الدين قد حرف عن حقيقته وأصله الإلهى المنزل على النبى . وفى هذه الدراسة فسنحاول أن نتبين مدى الدقة والأمانة التى سجلت بهما الكلمات الإلهامية المنزلة على عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه

عليهما ، وإلى أى مدى بقيت هذه الكلمات فى تلك الكتب المقدسة - سواء فى الأناجيل أو القرآن الكريم - خالية من التغيير أو التحريف من أى نوع كان .

تأليف الأناجيل :

إن الباحث فى الأديان يجد أن الكتاب المقدس (The Bible) عند جميع الطوائف والكنائس النصرانية يشتمل على أربعة أناجيل (Gospels) وهى أنجيل متى (Mattew) وانجيل مرقس (Mark) إنجيل لوقا (Luke) وإنجيل يوحنا (John) . وحقيقة نحن نصادف أقوالا الهامية عديدة منسوبة إلى عيسى عليه السلام فى هذه الأناجيل .

ونحن نلاحظ أن عددا كبيرا من الباحثين النصارى وخاصة من بين الأوربيين قد توسعوا فى الدراسة النقدية لهذه الأناجيل لمعرفة الصحيح من الدخيل المدسوس فيها . وهم يقررون إن هذه الأناجيل قد ألفت بعد مايقرب من أربعين وثمانين عاما من رحيل عيسى عليه السلام ، وعلى أساس من بعض الوثائق القديمة والتى هى مفقودة الآن .

ونجد العلماء الكتابيين المختصين بدراسة التوراة يثبتون بعض المصادر القديمة على أنها أساس وأصل لهذه الأناجيل المعترف بها لدى الكنائس النصرانية بما يلى :

١ — « Q » وهو مصدر ألمانى مفقود الآن ، وقد كتب أصلا باللغة الآرامية ، ووصل هذا المصدر إلى كتاب الأناجيل بترجمة يونانية .

٢ — « Urmarcus » وهو مسودة أولية لإنجيل مرقس ، وهو مكتوب على أساس من خطب بطرس (Peter) عن عيسى عليه السلام .

٣ — « L » وهو مجموعة من التقارير عن عيسى عليه السلام ، مستعملة فقط عن طريق لوقا .

ويقرر كثير من الباحثين النصارى من الغربيين أن المقارنة بين هذه الأناجيل الأربعة تظهر لنا أن مؤلفيها قد إستخدموا تلك الوثائق بحرية واسعة ، حتى إنهم لم يترددوا لحظة فى تغيير أشياء معينة فى تلك الوثائق لكى تتلائم مع هدفهم الخاص .

وأول إنجيل كتب هو إنجيل مرقس ، وقد كتب فى روما بعد مازعم بصلب عيسى عليه السلام بأربعين عاما على الأقل . وهذا الانجيل كما هو بين أيدينا الآن إنما هو رواية موسعة للمصدر المعروف بـ (Urmarcus) والذى قال عنه الكاتب النصرانى القديم (Papias) مايلى : « لقد اعتاد يوحنا الكبير على أن يقول : بأن مرقس حين أصبح شارحا لبطرس ، كان يكتب بالدقة ما استطاع أن يتذكره ، وعلى أية حال ، فإنه لم يورد بنفس الترتيب الدقيق أقوال أو أعمال المسيح ، لأنه لم يسمع من السيد (المسيح) ولم يصاحبه وبالتالى فإنه - كما قلت - ربط نفسه ببطرس الذى كان من عادته أن يصوغ تعليمه فى إطار معين ، لكى يقابل إحتياجات ورغبات سامعيه وليس يذكر رواية مخطب السيد (المسيح نفسه »[1] .

ويقرر الباحثون النصارى الغربيون أيضا أنه ليس من الممكن لنا أن نقول ما إذا كان ذلك المصدر « Urmareus » قد بسط ونقح حتى يعطينا إنجيل مرقس - كما هو بين أيدينا الآن - عن طريق مرقس نفسه أو أى شخص آخر . ونرى الأستاذ (C. J. Cadoux) الذى كان أستاذا لتاريخ الكنيسة فى جامعة أكسفورد ببريطانيا يلخص النتائج التى توصل إليها علماء مبرزون فى دراسة العهدين القديم والجديد ، فيما يتعلق بطبيعة وتأليف الأناجيل فيقول :

لقد كتب هذا الانجيل بعد استشهاد بطرس (سنة ٦٥ بعد الميلاد)

(1) Roberts And Donaladson (Editors) The AntE-Nicene Fathers Vol. I. P. 154—155.

فى وقت - مع العلم بأن مرقس نفسه لم يكن تلميذا لعيسى - لم يكن فيه مرقس على اتصال شخصى بأحد تلاميذ عيسى ، الذين عن طريق معرفتهم يمكنه (أى مرقس) أن يمحص روايته . وهذه الظروف لتأليف هذا الكتاب تعلل وجود عدد من الإشارات الدقيقة جنبا إلى جنب مع عدد من الإشارات التى تدل على الجهل وعدم الدقة »[1] .

وأما الإنجيل الثانى وهو إنجيل متى فقد كتب باللغة اليونانية فى مدينة أنطاكية « Antioch » حوالى سنة ٩٠ بعد الميلاد . ويقرر من النصارى الغربيين أن مؤلف هذا الكتاب قد استفاد على الأقل من مصدرين وهما : « Q » و « Urmarcus » . كما أنهم يقررون أنه لا يوجد عالم مستقل فى تفكيره يعتبر هذا الإنجيل عملا لمتى تلميذ عيسى عليه السلام . ويقررون أنه إذا كان متى قد ألف شيئا ، فإنه ألف فقط ذلك المصدر وهو « Q » . وفيما يتعلق بالحرية التى أعطاها لنفسه ذلك المؤلف المجهول لهذا المصدر ، فى تلاعبه بالمادة الأصلية يقول (C.J. Cadoux) « ولكن الفحص الدقيق للمعالجة التى يعطيها لمقتبساته من مرقس تبين أنه أعطى لنفسه حرية كبيرة فى تحرير وتوشية مادته لفائدة ما اعتبره التجهيد الشرعى للسيد الأعظم . ونفس الميول يمكن أن ترى فى مكان آخر وذلك حين يقدم المصدر « Q » أو حين يزودنا بمادة خاصة به هو نفسه . ولذلك فإن مايخص متى يمكن أن يقبل من وجهه النظر التاريخية بحذر شديد »[2] .

والإنجيل الثالث هو إنجيل لوقا ، ويؤكد الباحثون انه كتب فى مكان ما من بلاد اليونان حوالى عام ٨٠ ميلادية . تلبية لطلب من موظف مرموق هو ثاو فيلوس (Theophilus) ، ومن المحتمل أنه كان موظفا كبيرا فى الإمبراطورية الرومانيه . كما يقرر الباحثون أن هذا الإنجيل فى جملته خطاب

(1) C. J. Cadoux. The LifE of Jesus. Penguin Books. p. 13.
(2) C. J. Cadoux. The Life of Jesus penguin Books. p. 14. 15.

إعتذارى موجه إلى غير اليهود ، وأن لوقا كان صديقا ورفيق سفر للقديس بولس الذى أدخل تعاليم كثيرة إلى النصرانية ، وأن كاتب هذا الإنجيل إستفاد على الأقل من وثائق ثلاث : اثنتين منها كانتا مطابقتين لتلك المستخدمة عند كاتب إنجيل متى ، والثالثة كانت خاصة بكاتب هذا الانجيل نفسه . كما يقرر الباحثون أن لوقا كانت عنده الرغبة الشديدة فى أن يجعل إنجيله متمشيا مع آراء بولس ونظرياته . ولذلك فقد أعطى لنفسه حرية أكبر مما فعل كاتب إنجيل متى ، فى اقتباسه من مصادره .

وقد كتب الأستاذ « كيليت » « Kelett » يقول « إن لوقا كاتب يونانى وهو يكتب كمؤرخ يونانى ، ويجب الحذر منه ، إذ أنه فى بعض الحالات يصنع كلاما من عنده على لسان أبطاله . والقصة الجميلة تبدو حقيقية عنده بسبب أنها جميلة . . . والقصة كلها عبارة عن أسطورة مشهورة أخذت وكتبت من جديد بجاذبية خلابة عن طريق رجل له مواهب هيرو ديتية »[1] .

ويلاحظ الباحثون أن أناجيل مرقس ومتى ولوقا تسمى بالأناجيل العامة أو السينو بتيكية (The synoptic Gospels) ، لأنها تقوم على أساس من نفس الوثائق ، وأنها متشابهة على وجه العموم .

وأما الرابع وهو إنجيل يوحنا فيختلف عن تلك الأناجيل ، إذ أننا نجد أن الألوهية والوجود الأزلى السابق على هذا الوجود الأرضى لعيسى عليه السلام قد أثبت وأكد فى هذا الإنجيل وحده . وفى السطور الافتتاحية نجد كاتب هذا الإنجيل يقيم دعواه على أن اللوجوس الإلهى (Logos The Qivine) أى الكلمة أو العقل الإلهى ، الذى خلق العالم ، قد أصبح متجسدا فى شخص المسيح عليه السلام ، فهو يقول : « فى البدأ كان الكلمة ، والكلمة عند الله ،

(1) E. E. Kellett. Ashort History of Religions, pelican Books P. 173.

وكان الله الكلمة ، هذا كان فى البدء عند الله ، كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان » (العهد الجديد - إنجيل يوحنا - الاصحاح الأول ١-٣) ويقول : « والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لو جيد من الآب مملوءا نعمة وحقا » (إنجيل يوحنا الاصحاح الأول ١٤) .

ويقرر الباحثون الغربيون إن إنجيل يوحنا قد كتب فى أوفريبا من أفسوس ما بين ١١٠ و ١١٥ من العصر النصرانى ، بواسطة كاتب مجهول ، كانت له ميول معادية للسامية ، إذ أنه قدم اليهود على أنهم أعداء للمسيح عليه السلام . كما يقررون أيضا أنه لا يوجد عالم مستقل فى تفكيره يعتبر هذا الإنجيل عملا ليوحنا الزبيدى الذى قطعت رقبته عن طريق أجريبا الأول (Agriqe) فى عام ٤٤ ميلادية ، أى بزمن طويل قبل أن يكتب الإنجيل الرابع ونجد العلماء الانجيليين لا يتساءلون فقط عن القيمة التاريخيه لهذا الإنجيل بل إنهم بالإضافة إلى ذلك يرفضون صدق الكلمات الموضوعة عن طريقه على لسان عيسى عليه السلام . وقد قال (C. J. Cadoux) :

« إن الأحاديث الموجودة فى الإنجيل الرابع مختلفة عن تلك الموجودة فى الأناجيل العامة (The Synoptics) . وأيضا وبالمثل فإن تعليقات الإنجيل الرابع نفسه لا يمكن الاعتماد عليها كتسجيل لما قاله عيسى . والوثوق الحرفى فى العصور القديمة لم يحرم - كما هو واقع الآن - عز والأحاديث الوهمية المتخيلة للأشخاص التاريخيين . وأفضل المؤرخين تمرنوا على تأليف وعزو مثل هذه الأحاديث بهذه الطريقة »[1] .

عدم الوثوق فى الأناجيل :

يكاد يكون هناك اتفاق عام بين الباحثين الغربيين على أن الأناجيل الأربع قد ألفت بعد أن أصبح النصارى الأوائل منقسمين إلى عدة أحزاب ،

(1) C. J. Cadoux. The Liff of Jesus. p. 16.

وأنها ألفت لكى تذيع وتنشر التعاليم الخاصة للمدارس المتعددة، وأن مؤلفيها لم يظهروا أى تردد فى تلاعبهم بالوثائق الأولى ، وبالمادة النقلية الأصلية الخاصة بحياة وتعاليم عيسى عليه السلام ، لكى يجعلوها ناطقة بآراء مدارسهم . ويؤيد ذلك بوضوح تام ماقال (T. G. Tucker) .

« وهكذا ألفت تلك الأناجيل التى تعكس - تماما - التصور للحاجات العملية للمجتمع الذى كتبت من أجله ، وقد استخدم - فى هذه الأناجيل - المادة التى تعتمد على النقل ، ولكن لم يكن هناك تردد فى تغييرها أو إجراء إضافات إليها ، أو ترك (حذف) مالا يتناسب مع غرض الكاتب »[1] :

كما يقرر الباحثون الغربيون أيضا أن الأناجيل الأربع المدرجة فى الكتاب المقدس (The Bible) لم تكن هى الأناجيل الوحيدة المكتوبة فى العصور الأولى للنصرانية . فقد وجدت أناجيل أخرى عديدة ، وفى ضمنها الإنجيل الخاص بالعبرانيين « Heprews » ، وكان مكتوبا باللغة الآرامية ، وكان يستخدمه الناصريون (أهل الناصرة ، كما كان يسمى التلاميذ الأوائل لعيسى عليه السلام) الذين أنكروا ألوهية عيسى عليه السلام ، ونظروا إليه على أنه نبى عظيم من كبار الأنبياء . كما يقرر هؤلاء الباحثون أيضا أنه قريبا من نهاية القرن الثانى الميلادى فإن أناجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا قد أدرجت فى القانون الكنسى الدينى ، وأما الأناجيل الأخرى فقد أعلنت الكنيسة أنها هرطقات (ضلالات) أو أنها منحولة . كما يقررون أيضا أن الأناجيل الأربع - قبل أن أعلن قداستها ، وقبل أن قبلت ككتب وأسفار مقدسة (Scriptures) لم تكن لها تلك القداسة وذلك التبجيل اللذان أصبحا لها فيما بعد . وإن أى كاتب لم يشعر بتأنيب فى ضميره وهو يغير أى شىء فى تلك الأناجيل ، إذا وجده لا يتلائم مع غرضه أو غرض حزبه . وحتى بعد أن

(1) T. J. Tucker. The History of The Chrisians in The Light of Modern know Leige. p. 320.

أدرجت تلك الأناجيل فى الشريعة الكنسية الدينية ، واعترف بقانونيتها الدى الكنسية النصرانية ، وأعلن أنها كلمة الله (The word ofgod) فقد استمر إجراء التغيير فى هذه الأناجيل ، كما هو واضح من الوثائق الأولى .

وقد كتب (Dammelow) وهو أستاذ بجامعة كمبردج فى تعليقه الشهير على الكتاب المقدس (Thepiple) يقول : إن الناسخ - أحيانا - يدخل ماليس موجودا فى النص ، ولكن مايجب أن يكون فى النص . وهو يثق فى الذاكرة المترددة أو يجعل النص على إتفاق مع آراء المدرسة التى ينتمى إليها . وبالإضافة إلى الروايات والاقتباسات من الآباء المسيحيين فقد كان معروفا أنه يوجد تقريبا أربعة آلاف مخطوطة يونانية من العهد الجديد . وكنتيجة لهذا فإن التنوع والاختلاف فى القراءة يكون محل إعتبار »[1] .

ونرى الباحثين من النصارى الغربيين يضعون أمام أعيننا جملة من الحقائق على أساسها نستطيع أن نعرف مدى ماتمثله الأناجيل الأربع من الصدق فى أنها الرسالة الإلهامية . أو إنجيل عيسى عليه السلام ، وهذه الحقائق هى :

١ — أن أية نسخة مكتوبة لم تؤخذ من نفس الكلمات الإلهامية المنزلة على عيسى عليه السلام فى أيام حياته .

٢ - أن التسجيلات الأولى لأقوال عيسى عليه السلام والتى دونت بعد رحيله بوقت قصير ، قد فقدت كلها .

٣ - من الملاحظ أن الأناجيل التى كتبت ما بين ٦٥ و ١١٥ من العصر النصرانى ، على أساس من تلك الوثائق المكتوبة ، فإن المادة التى احتوت عليها تلك الوثائق قد تناولت بحرية واسعة ، إذ أن كتاب الأناجيل لم يشعروا

(1) J. R. Dammelow. Commentary on the Holy Bible. p. 16.

لحظة بالتردد فى تغيير ما رأوا تغييره حتى يتلائم مع تمجيدهم لعيسى عليه السلام أو ليجعلوا ذلك متفقا مع آراء أحزابهم .

٤ - أنه لا أحد من الإنجيليين قد عرف عيسى عليه السلام أو سمعه وهو يتكلم .

٥ - أن الأفاجيل الأربع قد كتبت باللغة اليونانية ، بينما أن اللغة التى كان يتحدث بها عيسى عليه السلام كانت هى اللغة الآرامية .

٦ - أن هذه الأناجيل الأربع قد ألفت لكى تنشر وتذيع آراء الأحزاب المختلفة فى البلاد النصرانية ، وأنها قد اختيرت (إنتخبت) من بين أناجيل أخرى تمثل آراء مختلفة .

٧ - أن هذه الأناجيل بعد أن كتبت بقرن كامل على الأقل ، لم يكن لها أية سلطة دينية ، كما حدثت فيها تغييرات كبيرة عن طريق النساخ الذين كانوا يتشيعون لمذاهب مختلفة ، وقد فعلوا ذلك خدمة لأغراضهم الخاصة .

٨ - أن المخطوطات القديمة للأناجيل وهى :

« Codex Sinaitcus, Codex vaticanns, Codex Alexandrinus »

تنتمى كلها إلى القرنين الرابع والخامس الميلادى . ولا يعرف أحد إلى أى مدى تغيرت الأناجيل خلال القرون التى لا يوجد فيها مخطوط فى متناول أيدينا .

٩ - أنه توجد إختلافات كبيرة فى أماكن عديدة بين المخطوطات الباقية من العهدين الرابع والخامس الميلادى .

١٠ - أن الأناجيل إذا أخذت ككل فإننا نجدها مملوءة بالتناقض .

وهذه الحقائق التى ذكرها العلماء الغربيون الذين يشغلون مناصب مرموقة فى الجامعات الأوربية والامريكية تنتهى إلى أن إنجيل عيسى عليه السلام - والذى نعنى به الرسالة التى تلقاها من الله تعالى - لم يصل إلينا فى شكله الأصلى،

وأن الأناجيل الأربع لا يمكن إعتبارها مطابقة لإنجيل - عيسى عليه السلام - المنزل عليه من الله تعالى ، إذ أن وضع تأليفها والحالات التى مرت بها هذه الأناجيل ، تجعلها بحيث لا يمكن الاعتماد عليها فى إعطائنا معرفة دقيقة لما كان يقوله ومدرسه عيسى عليه السلام .

إن هذه الحقائق وضعها الباحثون من النصارى الغربيين وهم يتساءلون حول كتاب العهد الجديد بمحتوياته من الأناجيل الأربع ، متى كتبت ؟ وفى أى ظروف كتبت ؟ ولم يستطع أحد أن يقدم الإجابة الحاسمة .

ونحن نعلم أنه فى السنوات الأولى ، بعد رحيل عيسى عليه السلام ، فإن تلاميذه كانوا ينتظرون عودته - كما تحكى المصادر النصرانية - . ولكن لأنه لم يرجع ، وقد بدأوا يرحلون عن هذه الدنيا ، فقد بدأ يظهر شعور بأن حياة وتعاليم عيسى عليه السلام يجب أن تدون من أجل أولئك الذين لم يكونوا قادرين على السماع مباشرة من الأشخاص الذين عاشوا مع عيسى عليه السلام وكما هو واضح من المصادر النصرانية فقد أخذ جمع كتب العهد الجديد زمنا طويلا ، وفى نفس الوقت أخذت تظهر كتب عديدة أخرى .

وقد سبب هذا قلقا بالغا للكنيسة التى انتخبت كتبا معينة ، اصطلح على أنها كلمة الله ، بينما نبذت الكنيسة الكتب الأخرى .

وقد كتب برنارد ألين (Bernard. M. Allen) فى كتابه : القصة التى خلف الكتاب المقدس « The Story Behinb The Gospel » ، يقول : « إن النقطة الهامة التى يجب أن توضع نصب العين هنا ، أنه لا واحد من الأناجيل كتب حتى مرت سنوات عديدة وعديدة على موت عيسى « Jesus » . وبالإجماع فقد عرف أن إنجيل مرقس هو أول الأناجيل كتابة ، والوقت المحدد لتأليفه كان سنة ٦٥ بعد الميلاد ، ويزعم بأن الصلب حدث - على وجه العموم - فى عام ٢٩ - أو ٣٠ بعد الميلاد . أما الأناجيل الأخرى فقد كتبت بعد

ذلك على التوالى . وفى خلال السنوات الأولى التى تلت موت عيسى لم تظهر سجلات مكتوبة عن حياته وتعاليمه . ومن المحتمل أن قليلا من أقواله الأخاذة كانت تجسيدا لبعض الطقوس الكنسية البسيطة . ولأن السنوات أخذت تمر ، والذاكرة تضعف ، فقد بدأ الشعور بالحاجة إلى تدوين كلماته . وكانت هذه الكتابات تعتمد على ذاكرة التلاميذ والرسل الذين عاشوا مع عيسى وسمعوا كلماته . وعلى هذه الذاكرة وتلك الأحاديث بنيت أناجيلنا

« ونحن ندرك أنه من المستحيل على قصة أن تمر من فم إلى فم — حتى بعد وقوع الحادثة بفترة قصيرة — دون حدوث تعديل أو تحوير فيها . ومن الحتمى أن الروايات والأقوال التى إنتقلت من فم إلى فم على فترة تزيد على ثلاثين عاما أن يكون قد أصابها التحوير فى مجرى هذه العملية . وفوق ذلك فليس أن نتذكر أنه فى العصور القديمة كان من الممارسة العامة ، حتى بالنسبة لمن يروون الأخبار التاريخية والمؤرخين . أنهم كانوا يضعون فى أفواه الشخصيات التى يكتبون عنها كلمات يرون أنها ملائمة للمناسبة التى يتحدثون عنها . دون أن يقصدوا أنها نفس الكلمات التى استخدمت . كما لم تساور الشكوك أى راو للأخبار فى مناسبة ما وهو يعدل ويحور فيما سجله فى مثل هذه الحالة ، حتى يعرض وجهة نظره الخاصة ، التى كان مهتما بالتأكيد عليها فى كتابته . وليس هناك شك فى أن الأناجيل التى كتبت — وقد كتبت وليس الغرض تسجيلها فقط ولكن من أجل التهذيب — قد تأثرت بهذا الموقف العقلى ، ولذلك فليس عندنا ثقة بأن الروايات والأقوال التى أعطيت لنا فى الأناجيل تقدم بالضرورة ماحدث وماقيل بالفعل » .

كما كتب توماس باين « Thomas Paine » كتابا هو عصر العقل « The Age of Reason » جذب فيه انتباهنا إلى حقيقة هامة وهى أن كتب العهد الجديد قد انتخبت عن طريق التصويت بنعم ولا فى مجمعى نيقية ولوديقية « Nicea — Lodicea » وبهذه الطريقة ظهر العهد الجديد إلى الوجود

كتابا كنسيا معترفا به ، فهو يقول : « وبهذه الطريقة قرروا عن طريق التصويت أى كتب من المجموعة التى وضعوها أمامهم يجب أن تعد أنها كلمة الله . وأيها لا يجب . لقد رفضوا العديد من الكتب ، وأخذوا الأصوات على أخرى فأنها مشكوك فيها ، أو أنها منحولة . وأما الكتب التى نالت غالبية الأصوات ، فقد صوت على أنها كلمة الله » .

وإذن فمن الملاحظة السابقة يستطيع الإنسان أن يخرج بنتيجة وهى أن الكتاب المقدس « The Btple » لا يمكن أن يكون كلمة الله المنزلة على عيسى عليه السلام ، كما أن الملاحظات السابقة تبين لنا أن هذا الكتاب (العهد الجديد) يحتوى على أباطيل وأكاذيب وإقحامات وتناقضات . وقد أكد بيك « Peake » وجهة النظر هذه فى تعليقه على الكتاب المقدس حيث يقول : « من بين ٢٧٥ إقتباسا فقد إكتشف أنه يوجد فقط ٥٣ إقتباسا من النص العبرى « Heqrew » والترجمة اليونانية للعهد القديم « The Seq Tiagint » ، كل واحد منها يختلف عن الآخر . كما وجد أن ٧١ إقتباسا غيرت فيها — بطريقة خاطئة — عن الترجمة اليونانية الصحيحة . وما زالت توجد لدينا حجة قطعية ، إذ ليس لدينا نص نهائى أكيد للكتاب المقدس ، يمكن أن نميل إليه على أنه الرواية أو الترجمة الأصلية . إن هذه الرواية فنيت منذ زمن بعيد »[1] .

وإن أى باحث ليتساءل : هل كان من الضرورى على الكنيسة أن تجرى إنتخابا من كتب فتختار البعض وتترك البعض ، إذا كان الأمر طبقا لما جاء فى العهد الجديد « كل الكتاب هو موحى به من الله » (العهد الجديد — رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموتاوس — الإصحاح الثالث ١٦) ؟ وفوق هذا لماذا توجد تناقضات فى تلك الكتب التى يزعم أنها كلمة الله ؟ ولننظر فى بعض هذه التناقضات التى وجدت فى أناجيل الكتاب المقدس ، بل فى الإنجيل الواحد .

(1) Thomas Paine. The Age of Reason. p, 4.

١ - « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا » « العهد الجديد - إنجيل يوحنا - الإصحاح الخامس ٣١ » .

« أجاب يسوع وقال لهم : إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ، لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب » « العهد الجديد - إنجيل يوحنا - الإصحاح الثامن ١٤ » .

٢ - « بذاتى أقسمت خرج من فمى الصدق كلمة لا ترجع إنه لى تجثو كل ركبة يحلف كل إنسان » « العهد القديم - أشعياء - الإصحاح الخامس والأربعون ٢٣ » .

« وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا ألبتة » « العهد الجديد - إنجيل متى - الإصحاح الخامس ٣٤ » .

٣ - « فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيروانى أخو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه ، وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذى تفسيره موضع جمجمة » « العهد الجديد - إنجيل مرقس - الإصحاح الخامس عشر ٢١ ٢٢ » .

« فأخذوا يسوع ومضوا به . فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ، ويقال بالعبرانية جلجثة » « العهد الجديد - إنجيل يوحنا - الإصحاح التاسع عشر ١٦ - ١٧ » .

٤ - « أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ، ولما ذاق لم يرد أن يشرب » « العهد الجديد - إنجيل متى - الإصحاح السابع والعشرون ٣٤ » .

« وأعطوه خمرا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل » « العهد الجديد - إنجيل مرقس الاصحاح الخامس عشر ٢٣ » .

٥ - « وبذلك أيضا كان اللصان اللذان معه يعيرانه » « العهد الجديد - إنجيل متى - الاصحاح السابع والعشرون ٤٤ » .

« وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا : إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا ، فأجاب الآخر وانتهره قائلا : أولا أنت تخاف الله إذا أنت تحت هذا الحكم بعينه » « العهد الجديد - إنجيل لوقا الاصحاح الثالث والعشرون ٣٩ - ٤٠ » .

من الواضح الآن أن التحريف قد شمل كل كتب العهد الجديد ، وإن الأناجيل - وإن كانت لا تخلو من بعض الحق - لا يمكن قبولها على أنها وحى الله تعالى المنزل على نبيه ورسوله عيسى عليه السلام . وقد حدث التحريف فى الانجيل المنزل من الله على عيسى عليه السلام ، تماما كما حدث التحريف فى كتب الله تعالى السابقة المنزلة على الأنبياء السابقين ، لأن الله تعالى لم يتكفل ببقاء تلك الكتب . وإن النصارى أنفسهم ليعترفون بأنه قد حدثت تحريفات فى بعض الأسفار الموجودة فى العهد القديم ، الذى يمثل مع العهد الجديد الكتاب المقدس عندهم . فقد جاء فى سفر أرمياء « وأما وحى الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه ، إذ قد حرفتم كلام الاله الحى رب الجنود إلهنا » « العهد القديم - سفر ارمياء - الاصحاح الثالث والعشرون ٣٦ » .

وبعد فإن كل ماذكرناه من نقد موجه إلى الاناجيل قد صدر من باحثين نصارى فى الغرب ، تخصصوا فى دراسة الأديان ، وقد فقدوا الثقة بهذه الأناجيل ، بل وصل الأمر ببعض الباحثين الأمريكيين إلى الشك فى وجود المسيح نفسه ، واعتبره أسطورة من الأساطير .

وإذن فنحن نستطيع أن نقول بأن الانجيل الذى يحمل رسالة عيسى عليه السلام ، لم يصل إلينا فى شكله الأصلى ، وأن الأناجيل الأربع التى

يتضمنها العهد الجديد ، لا يمكن إعتبارها على أنها مطابقة لإنجيل عيسى عليه السلام ، ذلك الإنجيل الذى تلقاه عن طريق الوحى الإلهى .

القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين

وإذا أتينا إلى القرآن الكريم نتمعن فيه بالدراسة والبحث حوله ، فإننا نجد إقتناعا راسخا لدى المسلمين جميعا بصدق وصحة كل آية وردت فى القرآن الكريم ، وأنها منزلة من الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين .

وقد أكد الله تعالى فى آيات عديدة الأصل الإلهى لجميع الآيات القرآنية فقال تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (الفرقان ١) وقال تعالى : « وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » (الشعراء ١٩٢ - ١٩٤) وقال تعالى « تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك » (السجدة ٢ - ٣) وقال تعالى : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل ، من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو إنتقام » (آل عمران ٢ - ٣) وقال تعالى : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (فصلت ٤١ - ٤٢) .

وبما أن القرآن الكريم يحمل خاتمة الرسالات الإلهية إلى الناس فقد قرر الله تعالى أنه لا ينسخ بكتاب آخر ولا يغير فيه شىء ، ولا تتناوله أيدى التحريف والتبديل ، بل يبقى محفوظا على أصله المنزل من الله تعالى إلى أن تقوم الساعة ، قال تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (الحجر ١٩) « أى من التحريف والزيادة والنقصان ، بأن جعلناه معجزا

مباينا لكلام البشر ، بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان »[1] .

وقد خاطب الله تعالى أصحاب الذوق اللغوى السليم والعقول الناضجة بأنهم لو تدبروا القرآن الكريم لعلموا أنه من عند الله تعالى حقا ، إذ أنه فى جميع آياته وسوره دقيق متناسق مترابط ، لا خلل فيه ولا إختلاف ، قال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا » (النساء ٨٢) ، وقال تعالى : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا » (الكهف ١) .

ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن له إلا أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه بلا زيادة أو نقصان . قال تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » (المائدة ٦٧) وقال تعالى : « تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » (الحاقة ٤٢ - ٤٧) .

إن آيات القرآن الكريم كلها لتتضافر على تأكيد أنه منزل من الله تعالى ، وأنه محفوظ بالعناية الإلهية . وقد أنجز الله تعالى وعده تماما وحرفيا بحفظ وبقاء القرآن ونقاء نصه من أى تغيير أو تحريف .

وفى عهده صلى الله عليه وسلم دارت مناقشات بينه وبين الكفار الذين كانوا يقولون : إن هذا القرآن من عند محمد . ولهذا تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثله ، وخاصة أنهم أهل فصاحة وبلاغة ، مع أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس إلى معلم يأخذ عنه شيئا من أخبار الأمم السابقة ويعلمه الشرائع وأصول إصلاح الناس وهدايتهم ، قال تعالى : « وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء

---

(١) البيضاوى : تفسير ج ١ ص ٢٨٣ .

من يؤمن به ومايجحد بآياتنا إلا الكافرون . وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » (العنكبوت ٤٧ - ٤٨) . وقال تعالى : « أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » (الطور ٣٣ - ٣٤) .

ثم تحداهم الله تعالى أن يأتوا بعشر سور مثله مادامو افى ريب وشك فى أن الله هو الذى أنزل القرآن على رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم قال تعالى: « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » (هود ١٣) .

كا تحداهم أن يأتوا حتى بسورة من مثله فقال تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (البقرة ٢٣ - ٢٤) .

وقد بقى التحدى قائما من وقت نزول القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم على طول العصور السابقة إلى يومنا هذا دون أن يستطيع واحد ، أو جماعة متعاونة أو هيئة علمية . مقابلة هـــذا التحدى ، بل كان العجز شاملا الجميع ، مع أن هذا التحدى كان ومازال معلنا على الملأ ، والخصوم فى كل زمان ومكان بكثرة وقوة لايستهان بها . ونجد النقاد المعادين للإسلام يؤلفون أكواما عالية من الكتب ضد الإسلام ، ومع ذلك لم يقدروا أبدا على مقابلة هذا التحدى وكيف يستطيعون وقد أخبر الله تعالى باستحالة ذلك فقال تعالى: « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (الإسراء ٨٨) .

لقد تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن وبقائه بعيدا عن أن يمسه تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان . ولذلك هيأ له جملة أسباب جعلته فى أعلى

درجات الوثوق بصحة ونقاء نصه . فقد أنزل الله تعالى القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم منجما مفرقا - أى جزءا بعد جزء من وقت لآخر - واستمر ذلك مدة ثلاثا وعشرين سنة ، من مبدأ البعثة إلى العام الذى توفى فيه النبى صلى الله عليه وسلم . وكان النبى صلى الله عليه وسلم كلما تلقى شيئا من القرآن فإنه يبلغه إلى الصحابة رضوان الله عليهم ، ويطلب منهم أن يحفظوه فى صدورهم . كما كان يأمرهم بتدوين ماتلقوا منه على ماتيسر لديهم من أوراق أو عظام . كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يعين لهم موقع الآيات الجديدة من الآيات السابقة وموقع السورة من السورة ، فحفظ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن الكريم بنفس الترتيب الذى سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم :

وكان من عادة جبريل عليه السلام أن ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم من وقت لآخر لتحفيظه القرآن وتمكينه فى قلبه ، فكان ينزل عليه فى رمضان من كل عام ليدارسه فى كل ما تلقى من آيات ، فكان محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ وجبريل عليه السلام يستمع ، وجبريل عليه السلام يقرأ ومحمد صلى الله عليه وسلم يستمع ، وقد استمر هذا فى كل عام حتى كمل نزل القرآن الكريم . وفى رمضان من السنة التى توفى فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، نزل جبريل على الرســـول مرتين ودارسه القرآن مرتين ، وكان ذلك هو العرضة الأخيرة للقرآن الكريم قبل وفاة محمد صلى الله عليه وسلم . روت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « إن جبريل كان ينزل على فيدارسنى القرآن مرة واحدة فى رمضان ، وقد نزل على هذا العام مرتين وما أرانى إلا قد اقترب أجلى » .

وشاع حفظ القرآن الكريم بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت بصره وبرعاية منه وحث لهم على ذلك . ففى السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لقارىء القرآن : اقرأ وارق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية كنت تقرؤها » ، وأنه قال : « خيركم من تعلم

القرآن وعلمه ، وقال : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » ، وقال : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » . وقال : « إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم . إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشافع النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا ينقضى عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد . أتلوه فإن الله يؤجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أما أنى لا أقول لكم ألم حرف ، ولكن ألف ، ولام ، وميم ، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى رغبت المسلمين فى حفظ القرآن عن ظهر قلب .

إلى جانب ذلك فقد كانت هناك عوامل أخرى عديدة عملت على إقبال الصحابة رضوان الله عليهم على القرآن الكريم دراسة وحفظا ، مثل إعجابهم بالقرآن الكريم وبلاغته وإعجازه البيانى الذى استولى على قلوبهم . ولأنه هو المصدر الأول لجميع أمور دينهم فى العقائد والعبادات والمعاملات .

كانت هذه العوامل وغيرها كثير دافعة للمسلمين على حفظ القرآن الكريم والحفاظ عليه ، لأنهم به - أى القرآن - يستطيعون تبليغ دين الله إلى الناس فى كل زمان ومكان . ويقرر المؤرخون أنه اجتمع حول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع آلاف من الحفاظ للقرآن الكريم ، الذين انتشروا بعد ذلك فى جميع أصقاع الأرض يذيعون القرآن بين الناس ويتلقى عنهم الآلاف المؤلفة .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمر صحابته بكتابة آيات القرآن فقط ، دون أى كلام آخر صادر عنه . وحين

أراد بعض الصحابة فى أول الأمر كتابة أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فإنه نهاهم عن ذلك وقال : « لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن ، فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه » . وكان ذلك النهى من النبى صلى الله عليه وسلم عن كتابة أحاديث فى أول الأمر ، حتى لا يختلط الحديث بآيات القرآن الكريم ، ويلتبس الأمر على من يأتى بعد الصحابة ، كما أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يتفرغ الصحابة لحفظ القرآن الكريم ، ولما اطمأن النبى صلى الله عليه وسلم على حفظ الصحابة للقرآن الكريم ، ووجد من يتقنون الكتابة والضبط فقد أجاز كتابة أحاديثه . وهذا يبين لنا مدى عنايته صلى الله عليه وسلم بأن يحفظ الصحابة القرآن الكريم عن ظهر قلب ، وأن يكتبوه فى صحائف ، وأن يفصلوه عن أى كلام صادر عنه ، حتى يبقى للقرآن نقاء أصله ، وتم وعد الله تعالى بحفظه وصيانته من التبديل والتحريف .

كل ما ذكرناه كان فى عهد محمد صلى الله عليه وسلم وتحت إشرافه ، وبعد وفاته نجد أبا بكر الصديق خليفة رسول الله يأمر زيد بن ثابت بالقيام بمهمة جمع القرآن من الصحف المتفرقة والجلود وقطع الحجارة الرقيقة التى كتبت عليها آيات القرآن الكريم بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى يكون مع الناس نسخة كاملة موثقة للقرآن الكريم يرجعون إليها وقت الحاجة . وكانت هناك شروط دقيقة فى كتابة أى آية أو وضعها فى مكانها . وتحت بصر جميع الصحابة وبموافقتهم وإجماعهم تم كتابة نسخة كاملة من القرآن الكريم ، وسميت مصحفا . وكان ذلك المصحف على نفس الترتيب الذى يحفظه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم إن الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه أمر بعمل ست نسخ من نفس النسخة المكتوبة بأمر أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ووزعها على الأمصار الإسلامية المختلفة . وهى صورة طبق الأصل لذلك المحفوظ فى صدور علماء

المسلمين وقرائهم منذ الصدر الأول حتى يومنا هذا ، وإلى أن تقوم الساعه بإذن الله تعالى .

ويذكر بعض الباحثين أن إحدى هذه النسخ المكتوبة بأمر عثمان رضى الله عنه مازالت موجودة فى طشقند ، وقد نشرتها الحكومة العنصرية لروسيا ، مع صورة طبق الأصل . ووجد العلماء أنه يوجد تطابق تام بين هذه النسخة والنص المتداول فى جميع أرجاء العالم .

إن الباحثين مسلمين وغير مسلمين يلاحظون أنه منذ عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، أن ممارسة تعلم القرآن الكريم عن طريق الحفظ القلبى قد استمرت دون انقطاع فى تواتر لم يشهد له العالم مثيلا حتى يومنا هذا . ويمكن عد الحفاظ فى كل جيل بمئات الآلاف وأكثر . وليس هناك عالم شرقى أو غربى من المهتمين بدراسة الأديان ومصادرها قد استطاع أن يلقى أى شك حول نقاء النص القرآنى . حتى أننا نجد بعض الباحثين الغربيين والمعروفين بعداوتهم الشديدة الإسلام ، لا يملكون إلا أن يعبروا عن إعجابهم الكبير بالقرآن ، والتسليم بنقاء نصه وبقائه بعيدا عن أى تحريف أو تبديل ، فهذا هو سير وليم موير (William Muir) وهو العدو اللدود والناقد للإسلام يقول عن القرآن : « من المحتمل أنه لايوجد فى العالم كتاب آخر قد بقى اثنى عشر قرنا بمثل هذا النقاء فى النص » .

« Thers is propably in the world no other book which has remained twelve centuries with so wer a text »(1)

كما نجد شهادات عديدة صادرة من الكتاب الغربيين غير المسلمين ، وكلها تشهد بميزة القرآن الكريم فى أسلوبه وبلاغته وقوة حجته وبراهينه وشمول قوانينه التى تدل على علو مصدره ، وأنه لايمكن إلا أن يكون تنزيلا إلهيا

(1) Sir william Muir : The tife of mehamet, introduction, p. 18.

محكما . فهذ سبل يقول : « إن أسلوب القرآن على وجه العموم - جميل وبليغ . وفى العديد من المواضع وخصوصا حيث الإلهية وصفات الكمال ، فإننا نجد آياته توصف بالرفعة والروعة . لقد نجح القرآن نجاحا كاملا ، وخلب عقول المستمعين لدرجة أن خصومه وقفوا أمامه مشدوهين عاجزين ظانين أنه أثر سحر وكهانة »(1) (سيل - خطبة تمهيديه ج ٢ ص ٤٨) كما قال « إن القرآن سهل التناول من جهة كونه حجة إقناعية وبلاغية ، وحتى من جهة تركيبه »(2) .

كما نجد كاتبا آخر يقول : « إن الكتاب - القرآن الكريم - ليس فقط قلب دين ومرشدا إلى ملكوت السماء ، ولكنه بالإضافة إلى ذلك ملخص وموجز للعلم ، ووثيقة سياسية تجسد دستورا كاملا من القوانين لمملكة على الأرض »(3) (العرب : تاريخ قصير) . ونجد أيضا الأستاذ هو ستون اسميث يقول : « إن القرآن إلى جانب كونه دليلا ومرشدا لصفاء الروح ، فإنه حجم ضخم لقانون أخلاقى وشرعى »(4) (الأستاذ هوستون اسميث : كتاب دين الإنسان) .

كما نجد بعض الباحثين الغربيين يقررون أن الخطوط الإرشادية التوجيهية للحكومة العالمية التى وضع أسسها القرآن الكريم ليست محدودة بزمان أو مكان ، وأن جميع الكائنات البشرية يمكنها أن تستفيد منها فى أيامنا الحالية . يقول مؤلف كتاب (ماذا حدث فى التاريخ) : « وأنا أقول فإنه حتى المواثيق الأوربية ، والإجراءات الدفاعية الأوربية ، والمواثيق السياسية الأوربية ، والاقتراح من أجل إقامة برلمان عالمى أو حكومة عالمية ، إن كل مثل هذه

(1) Sale. Priliminary, Disconre. Vol. 2.p. 48

(٢) نفس المرجع ج ٢ ص ٨ .

(3) The Arabs : Ashort History.

(4) Huston Smith : The Religion of Man.

الخطوات تكون عديمة الجدوى إذا لم تقم أسسها على تصور صحيح عن الله والقيم الأخلاقية . وإذا حاول أحد تطبيق مثل هذه الإجراءات من أجل السلام العالمى ، فإنه يجب أن يضع نصب عينيه الدين . وإذا كان هناك شخص على استعداد لذلك فإنى أنصحه ألا يغفل أو يهمل القرآن، لأنه لا يوجد كتاب مثله يمكن أن يزودنا بأفضل إرشاد فى هذا الموضوع » .

وعن الوجهة الإعجازية للقرآن الكريم فإن المؤرخ البريطانى الشهير (GIBBON) يقول : « من المحيط الأطلسى إلى نهر الخانجا فقد سلم بأن القرآن هو روح البرلمان، يمدنا بالأساس للقانون ، ليس فقط من أجل مبادىء الدين ، بل حتى من أجل القانون العقابى والمدنى . والحقيقة هى أن القانون الدينى الذى جاء به محمد يشمل كل شىء . وهذا القانون الدينى قد صيغ على أساس من مثل هذه المبادىء الحكيمة والنماذج الشرعية التى لا يوجد لها مثيل فى العالم كله ، كتاب : قيام وسقوط الامبراطورية الرومانية .

Rise and Fall of The Roman Empire.

وبالله التوفيق